

كعب بن سور الأزدي

وكتوفؤارعب المنعم

كيف ولي عمر كعباً لقضاء البصرة؟

يحدثنا الشعبي : أن كعب بن سور كان جالساً فجاءت امرأة ، فقالت : يا أمير المؤمنين : ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي إنه ليبيت ليله قائماً ، ويظل نهاره صائماً في اليوم الحار ما يفسطر ، فاستغفر لها وأثنى عليها . وقال : مثلك أثنى الخير . . . وقال : واستحيت المرأة فقامت راجعة . فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، هلاً أعنت المرأة على زوجها أن جاءتك تستعديك ؟ قال : أو ذاك أرادت ؟ قال : نعم . . . فودت ، فقال : لا بأس بالحق أن تقوليه ، إن هذا زعم أنك جئت تشتكين زوجك ، أنه يحتجب فراشك . قالت : أجل إني امرأة شابة ، وإن أتبع ما يتبع النساء ، فأرسل إلى زوجها فجاءه . فقال لكعب : أفض بينهما ، فإنك فهمت من أمرهما ما لم أفهمه . فقال كعب : أمير المؤمنين أحق أن يقضى بينهما ، فقال : عزمت عليك لتقضين بينهما قال : فإني أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة هي رابعتهن فأفضى له بثلاثة أيام وليالين ، يتعبد فيهن . ولما يوم وليلة (ليس له فيها إلا أداء الفريضة) فقال عمر : والله ما رأيت الأول بأعجب من الآخر . إذ ذهب فأت قاض على أهل البصرة .

وفي رواية أخرى طريفة عن المدائني تتفق معها في المعنى وتفرد بأنها تصور حجج الخصوم وأدلتهم بصياغة شعرية . فالمرأة التي أتت عمر بن الخطاب تثنى على زوجها فقال له كعب بن سور : إنها تشكوه . فقال عمر : أفض بينهما . فتكلمت المرأة فقالت : يا أيها القاضي الحكيم رشده . ألقى خليلي عن فراشي مسجده زهدته في مضجعي تعبدته نهاره وليله ما يرقده ولست في أمر النساء أحمدته فأفض القضاء يا كعب لا تردده فقال الزوج :

إني امرأة أذهلني ما قد نزل في سورة النور وفي السبع الطول
زهدي في فرشها ما في الحجول وفي كتاب الله تخوف جمل
فحنا في ذا على حسن البعل

تطلب الخليفة العادل الحازم : عمر بن الخطاب فيمن يقيم أمر الله بالفصل بين الناس ثلاث خصال : لا يصانع ، ولا يضارع (أى يشبه فعله الرياء) . ولا يتبع المطامع . وقد استبان بالتجربة لعمر رضى الله عنه توافر هذه المواصفات في كعب فولاه قضاء البصرة ، وكانت أحكام كعب من دليل صحتها لا يختلف فيها أو عليها . فكانت الشهادة التقديرية من عمر لكعب قوله : « نعم القاضي أنت » .
معالم حياته :

• كعب بن سور بن بكر بن الأزدي ، من قبيلة من أهل اليمن ، لم تشر المصادر والمراجع التي بين أيدينا إلى تاريخ ولادته وإن أجمعت أن وفاته كانت في موقعة الجمل سنة ٣٦ هـ .

• كان كعب مسيحياً في الجاهلية ، واعتنق الإسلام عن وعى وإدراك - واقتناع . فكان من القلة الخيرة المؤمنة من أهل الكتاب الموصوفة من الله بقوله : « ليسوا سواء : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات . وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه . والله عليم بالمتقين » آل عمران : (١١٣-١١٥) فقد آمن كعب إيماناً صادقاً عميقاً ، وكاملاً وشاملاً وانضم إلى الصف المسلم وقام بحراسة دين الإسلام .

• لم تثبت رؤيته للرسول ﷺ ، ولم يرو عنه أى حديث ، وإن عاصر كبار الصحابة . وفقه آيات الأحكام والحديث . وبعد كعب من كبار التابعين .

• مكث في القضاء اثني عشر عاماً فقد استنفض عمر قاضياً على البصرة في سنة ٤٦ هـ . ثم ولي كعب قضاء مصر حتى استنفض عمر بن عبد الله عنه في سنة ٥٣ هـ . وفي